مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (01) جـوان 2024 ص ص 378-396

تدخل التخييل لخيانة الواقع في الرواية الجزائرية المعاصرة زمن الغربان للجيلالي خلاص نموذجا

Intervention on imagination to betray reality in the contemporary Algerian novel, the time of crows, by DjilaliKhlasas, as an example

سارة هونت[1] ؛ فتيحة الزين[2]

[1] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، جامعة عين تموشنت (الجزائر)
البريد الالكتروني المهني: Sarah.hounet@univ-temouchent.edu. dz

[2] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، جامعة عين تموشنت (الجزائر)
البريدي الالكتروني المهني: fatiha.ezzine@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/12/27	2024/04/13	2024/06/01

الملخص: سعينا من خلال هذه الدراسة إلى تبيان عنصر التخييل وجمالياته عند جيلالي خلاص في واحدة من أشهر رواياته المعاصرة وهي رواية زمن الغربان، من خلال الوقوف عند بعض الجوانب المتميزة لبنيتها السردية لتبيان جماليات التخييل فيها وكذا الوقوف عند أهم التقنيات التي اعتمد عليها الكاتب في رسم صورة للعلاقة بين الشخصية والمكان والزمان هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإننا حاولنا من خلال هذا البحث تسليط الضوء أيضا حول العلاقة بين الصور المتخيلة التي يثيرها المتلقي داخل ذهنه وما هو موجود داخل الرواية خاصة وان هذه الرواية تحمل العديد من الرسائل المشفرة التي لن يتمكن من الوصول إلى حقيقتها ،إلا إذا امتلك القدرة على فهم آليات التخييل داخل الرواية.

فما هو مفهوم الرواية؟ وكيف سايرت الرواية الجزائرية مختلف التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري؟ أين تكمن جماليات التخييل في رواية زمن الغربان للجيلالي خلاص؟

الكلمات المفتاحية: *التخييل؛ الواقع؛السرد؛رواية؛زمن الغربان.*

Abstract: Trough this study, we sought to show the element of imagination and ist aesthetics in DJilali Khalas in one of this most famous contemporary novels ,the time of crows, by standing at some distinct aspects of its narrative structure to show the aesthetics of imagination in it, as well as standing at the most important techniques that the writer relied on in drawing a picture of the relationship between this personality, place and time

on the one hand, and on the other hand, we have tried through this research to shed light also on the relationship between the imaginary images that the recipient raises in this mind and what is present in the novel, especially since this novel carries many encrypted messages that he will not be able to reach its truth unless have the ability to understand the mechanisms of

What is he meaning of the novel? Where does the aesthetics of imagination lie in the novel the time of crows by Al-DJilalikhalas?

Keywords: *imagination; reality; narration; novel; time of crows.*

مقدمة:

عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة تطورا ملحوظا جعلها تحتل مكانة مرموقة في دائرة السرد العربي عامة والسرد الجزائري خاصة؛ حيث سجلت حضورا لافتا في بحر الأعمال السردية المتنامية وهذا ما شكل تراكما المنجز الروائي الجزائري؛ وذلك من خلال قدرة كتابها على الترويع وخلق نص إبداعي يغوص في الماضي ويعيش الحاضر ويتنبأ بالمستقبل من خلال الاعتماد على الخيالات والرؤى الخاصة بكل كاتب؛ وهذا ما يجعل القارئ في حالة من التناقض مع نفسه وذلك لعدم قدرته على التفريق بين الواقع المرجعي والخيال الافتراضي، وهذا ما نلاحظه عند دراسة رواية زمن الغربان للجيلالي خلاص؛ التي اكتسبت شرعية وجودها وجمالياتها من خلال التفاعل بين مكوناتها السردية التي كانت الصدارة فيها للشكل والمضمون معا، وإذا كان المضمون يجيب على سؤال مفاده ماذا يقول النص؟وما هي الرسالة الاجتماعية والأخلاقية التي أراد الكاتب تمريرها للمتلقي؟حيث تتآلف فيه الأفكار وتتجاذب بطريقة مباشرة وغير مباشرة لتكشف عن سلسلة من العلاقات التي ترسمها الشخصيات بتصوير الواقع تصويرا حيا يعمل على إبراز الشرائح التي تعيش في قلب المجتمع، والأخرى التي تعيش على هامشه، فإن الشكل يستلزم الإجابة على أسئلة محتواها:

ما هي أهم التقنيات السردية واللغوية التي لجأ إليها الكاتب من أجل تبليغ الرسالة للمتلقي وإثارة فضوله واستمالة تفكيره، وتشويقه لمعرفة مضمون النص؟

أين تكمن جماليات التخييل على مستوى البنية السردية لرواية زمن الغربان للروائي جيلالي خلاص؟

1. تجسيد الواقع في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة:

يطلق أمجي إبرمز تعبير الرواية على أنماط شديدة التنوع من الكتابة بحيث لا يجمع بينها في الحقيقة إلا كونها أعمالا نثرية مطولة (ألن، 1997، صفحة 18)، فهي تمثل التجسيد الأعلى للعبة التداخل النصي لأنها ظاهرة متعددة في أساليبها وذات تركيب هجين وواع ومقصود ومنظم وفق مقاييس فنية وليس خطابا عشوائيا.

تمثل الرواية عند عبد الملك مرتاض النثر الفني بمعناه العالي ،فلغة الرواية المنثورة يجب أن تكون اللغة السائرة بين الناس، لغة التوصيل التي لم تك لغة الناس جميعا،فهي عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصول، إنها جنس سردي منثور لأنها ابنة الملحمة والشعر الغنائي ذي الطبيعة السردية (مرتاض، 1998، صفحة 25).

نشأت الرواية الجزائرية متأثرة بالرواية المشرقية، وقد اعتبر النقاد أن حكاية العشاق في الحب والاشتياق لصاحبه محمد بن إبراهيم هو أول عمل روائي في الجزائر يعود تاريخه إلى سنة 1849م (مفقودة، 2009، صفحة 28).

إن المتتبع لنشأة وتطور الرواية الجزائرية سيجد أنها حديثة الظهور خاصة المكتوبة باللغة العربية، فإذا ما استثنينا المحاولات الأولى البسيطة والمتمثلة في غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو التي ظهرت في الأربعينات تزامنا مع أحداث 8 ماي 1945م (مفقودة، 2009، صفحة 29)، فإننا وبالانتقال إلى فترة ما بعد الاستقلال وهي مرحلة اندلاع الثورة، سنجد بأن هذا الحدث سيشهد ظهور بعض الروايات ،كرواية الحريق لرشيد بوجدرة التي طبعت بتونس سنة 1957م، ورواية الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي قبل ذلك أي سنة 1951م (مفقودة، 2009، صفحة 30)، أما المحطة الأخيرة التي

مهدت لظهور رواية فنية ناضجة فكانت في مرحلة ما بعد الاستقلال وذلك مع ظهور بعض الروايات، كرواية صوت الغرام لمحمد منيع سنة1967م.

تعد مرحلة السبعينات البداية الحقيقية لظهور رواية فنية ناضجة،وذلك من خلال رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة سنة 1971م (فاسي، 2000، صفحة 6)، والتي يمكن أن نؤرخ من خلالها لزمن تأسيس الرواية في الأدب الجزائري،حيث كتب هذه الرواية في فترة الحديث عن الثورة الزراعية، وأما الطاهر وطار فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل المراحل التي عاشها وشهدها المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية فترة مابعد الاستقلال، ففي روايته الأولى اللاز عاد إلى سنوات الثورة التحريرية مصورا لنا مرحلة من مراحلها ،وذلك بتحول اللاز ابن مريانة من شخصية مهمشة ومنبوذة اجتماعيا إلى شخصية ثورية ترمز إلى الشعب الجزائري بأكمله، أما روايته الثانية الزلزال فقد خصصها للحديث عن الثورة الزراعية (فاسي، 2000، صفحة 29).

كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في فترة الثمانينات تقوم على البحث عن أساليب إبداعية جديدة، حيث مثل هذا الجيل اتجاها تجديديا صب اهتمامه بالذات على مجال فن الرواية ،فكان أن كتب جيلالي خلاص رائحة الكلب وحمائم الشفق وغيرهما، وكتب واسيني الأعرج نوار اللوز مصرع الأحلام ومريم الوديعة ورمل الماية وغيرها، كما كتب مرزاق بقطاش عزوز الكابران (فاسي، 2000، صفحة 101).

أخذت الرواية الجزائرية منعرجا آخر خلال سنوات التسعينات اعتمد على تصوير الواقع الجزائري المتأزم في تلك الفترة بعد انتشار العنف أو ما يعرف بالإرهاب والتحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء إنتخابات1992م، وهذا ما نجده في روايات واسيني الأعرج كرواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف ورمل الماية 1997م، وشرفات بحر الشمال (حسين، أفريل 2021)، وروايات الطاهر وطار الشمعة والدهاليز1995م، وفوضى الحواس 1996م، والولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي 1999م ورواية فتاوى

زمن الموت لإبراهيم سعدي 1999م وذاك الحنين للحبيب السائح 1997م، وفوضى الحواس لأحلام مستغانمي1997م (رحال، 2014 - 2015، صفحة 28).

تميزت التجربة الروائية الجزائرية المعاصرة بمحاولة مبدعيها خلق مسار نقدي معاصر فتنوعت طرائق الكتابة وأصبحت تتميز بالتجاوز والمغامرة وتوظيف الثراث المحلي والعربي والإسلامي والعالمي،واستلهام التاريخ في شتى تجلياته واقتحام المحرمات الدينية والسياسية والجنسية وفي هذا السياق نذكر رواية الحب في المناطق المحرمة 2000 م للجيلالي خلاص وشرفات بحر الشمال 2001م، وحارسة الظلال2001م لواسيني الأعرج، وتلك المحنة 2002م (رحال، 2014 - 2015، صفحة 29)، وتماسخت 2002م للحبيب السائح، ورأس المحنة 2003م لعز الدين جلاوجي، ورواية الذروة لربيعة جلطي سنة 2010م.

2. الآراء النقدية حول تجسيد الواقع الجزائري في روايات جيلالي خلاص:

كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في فترة الثمانينات نتيجة للتحولات التي طرأت على مجتمع الاستقلال حيث مثل هذا الجيل اتجاها تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر أعمال الروائي جيلالي خلاص الذي يعد من أهم الأسماء المتميزة التي راكمت بنتاجها الروائي والقصصي مدونة السرد الجزائري وأثرت على خريطة الإبداع بلمستها الشديدة القرب من التحولات العميقة التي شهدها المجتمع الجزائري منذ الثمانينات من القرن المنصرم وإلى وقتنا الراهن، أي ما يشير بداهة إلى تجربة خصبة المتن لأكثر من أربعين سنة من التواصل والتأمل المستمر في الوضعيات الكارثية التي ألمت بالبلاد، فالروائي والقاص جيلالي خلاص لم يخرج عن الخط الفكري الذي اتبعه غيره من روائيي وقته فهو مناضل بالدرجة الأولى ملتزم بقضايا مجتمعه، متبعا في ذلك كتابات جميع الروائيين الذين برزت الثورة في كتاباتهم الروائية فهو مناضل بالدرجة الأولى ملتزم بقضايا مجتمعه.

يرى مصطفى المدايني أن من أبرز القاصين والروائيين الذين برزت الثورة كشعور وكعمل فني في رواياتهم، نجد الطاهر وطار وجيلالي خلاص وزهور ونيسي (المدايني، 1984، صفحة 291) ،حيث أنهم كانوا يتناولون القضايا التي شعروا بأنها قريبة منهم ومن مشاكل مجتمعاتهم الراهنة.

يعتبر عبد الحميد بورايو أن جيلالي خلاص من أهم الروائيين الجزائريين الذين أسهموا في الحديث عن قضايا المجتمع بكافة أشكاله،ففي نظره أن العوالم التي ينقلنا إليها جيلالي خلاص ذات نكهة خاصة ترتبط بالواقع لكنها تتجاوزه من خلال طرق فنية وأصيلة (مجهول، د.ت) تعتمد على الأسلوب اللغوي الغير مباشر في وصف الأوضاع.

يمدح علاء أبو الوليد جيلالي خلاص ويعتز به لأنه روائي تعتز به حركتنا القومية العربية (خلاص، 2018)، لأن رواياته تتميز بالطابع التجريبي والقدرة على التجديد من نص لآخر.

يعد جيلالي خلاص أحد أهم رواد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية في الجزائر، فأعماله الروائية قد غطت مختلف المراحل التي عاشتها الجزائر منذ الاستقلال إلى غاية عصرنا الحالي، بداية بروايته الأولى رائحة الكلب ووصولا لآخر رواية أصدرها سنة 2018م وهي رواية زمن الغربان، والتي استشرف فيها واقع الجزائر سنة 2072م.

3. تقديم الرواية:

زمن الغربان للروائي جيلالي خلاص هي الجزء الأول من ثلاثيته التي صدرت له سنة 2018م حملت العديد من الأمراض السياسية والاقتصادية والاجتماعية في 262.

من الصفحات الأولى يجد القارئ نفسه في قلب الأحداث مع العالم الكبير سليم دي فوسطو الذي نشأ عن طريق علاقة غير شرعية جمعت بين والدته فرانشيسكا كاغلياري ووالده الطيب عامر في مطار ليوناردو دافنشي، عندما بلغ الست سنوات من عمره قامت

والدته بإرساله إلى روما عند جدته ومكث هناك إلى أن أكمل دراسته وتحول إلى عالم كبير حينها قرر العودة الى بلده بركسة رفقة صديقه مولود وفور سفره تفاجأ بالأوضاع الكارثية التي آل إليها وطنه بسبب اندلاع الحرب الأهلية داخله بعد مجزرة الكبش ،حينما قام الشعب بالتظاهر أمام برج الكبش كرد فعل حول السياسة المستبدة لنظام حكم عبد السلام بلكروش فقتل المئات من المتظاهرين الذين كانوا يهتفون بعبارة الخبزة، منذ تلك الواقعة قرر الطيب عامر وبعض المثقفين تأسيس حركة الخبزة كتمرد وعصيان مدني على عبد السلام بلكروش وأعضاء حكومته، استمر نشاطها الى غاية انقسامها وقرار بعض أعضائها كالقائد أشبوبي الانتقال إلى العمل المسلح مما أدى إلى انسحاب الطيب عامر من عضويتها لأن شعار الحركة كان منذ البداية يقوم على عدم غمس الماء بالدم (خلاص، 2018، صفحة 103)، تبدأ رحلة دي فوسطو وصديقه مولود نحو البحث عن عائلته وتحملهما للعديد من المصاعب إلى غاية التقاءهما بالقائد أشبوبي ووضعهما تحت حمايته وتنتهي أحداث الرواية بمعرفة سليم دي فوسطو بمكان أسر عائلته وتفكيره في إيجاد طريقة لتحريرهم.

4. جماليات التخييل في رواية زمن الغربان:

1.4. على مستوى الغلاف الخارجي ودلالة ألوانه:

يتموضع اسم الروائي جيلالي خلاص في الواجهة الأمامية باللون الأبيض بالحجم متوسط، بعدها نجد اسم الرواية "زمن الغربان" مكتوبة باللون الأبيض بالحجم الغليظ، تحتها مباشرة نجد أن الكاتب قد وضع بين قوسين العنوان الثانوي (حركة الخبزة) وكتبه أيضا باللون الأبيض بالحجم الصغير، وغالبا ما يرمز اللون الأبيض إلى الصفاء والعفة، والنظافة، والطهارة، والوضوح (عبيد، د.ت، صفحة 61)، وفي أسفل الغلاف نجد توقيع لرسام صورة الغلاف جميل أمحيس مكتوب باللغة الفرنسية وباللون الأسود، وبعده نجد اسم دار النشر "دار القصبة للنشر".

الغلاف جاء عبارة عن لوحة فنية للرسام جميل أمحيس، وقد أعتمد في رسمه للوحة على مجموعة من الألوان منها اللون الأحمر الغامق الذي استعمله في الجهة اليمنى من اللوحة، ومعروف أن اللون الأحمر يحمل دلالات متعددة تختلف حسب سياقات استخدامه فهو يوحي إلى الحب والعاطفة وفي الذاكرة الشعبية يرمز إلى الشهوة والنشوة والتمرد والحركة والحياة الصاخبة كما يدل على الغضب والانتقام والقسوة وفي الديانات هو رمز لجهنم وهولون غرائزي يشعرنا بالجوع (طانيوس، 2010، صفحة 16) وقد ارتبط هذا اللون في رواية زمن الغربان بالحب من جهة وبالثورة التي أقامها مجتمع بركسة ضد نظام حكم عبد السلام بلكروش من جهة أخرى، إضافة إلى استعماله للون الأحمر نجده أيضا قد استعمل اللون الأسود الذي يعبر عن المرجعية والقوة (عبيد، د.ت، صفحة 66) كتعبير عن الأزمات الصعبة التي مر بها سكان بركسة بسبب حكم عبد السلام بلكروش الفاسد وظلمه لشعبه بسبب طمعه ورغبته في نهب أموال الدولة.

في وسط الغلاف نجد صورة لسفينة محروقة رسمها باللون الأسود، تمثل قوة بلد بركسة في الماضي، وما آلت إليه الآن من دمار وخراب بسبب الحروب الأهلية التي نشبت داخلها.

2.4. على مستوى العنوان:

1.2.4. على مستوى العنوان الرئيسي "زمن الغربان":

زمن الغربان هو عنوان يمثل علامة إغرائية ونقطة تحدي في الوقت نفسه ،حيث اختار جيلالي خلاص هذا العنوان لروايته قصد تشويق القارئ وإثارة فضوله لمعرفة ما تحتويه هذه الرواية، فهو عنوان رمزي يتخلله الغموض واللبس مما يجعل القارئ يطرح عدة تساؤلات ويفسره بعدة دلالات ولا تكون الإجابة عنها إلا بقراءته للرواية قراءة جيدة، وإذا انتقلنا إلى تفكيك هذا العنوان ومعرفة دلالاته وجدناه يتكون من: زمن الغربان

اسم نكرة اسم معرفة - مبتدأ مضاف إليه

وهو في صورته الحالية جملة اسمية يغيب عليها الفعل ويتصدرها الاسم الذي وقع ركنا إسناديا فيها (أبوالمكارم، 2007، صفحة 17).

أول دال ظاهر في العنوان هو لفظة "زمن" الذي يعرف بأنه اسم لقليل الوقت وكثيره. وفي المحاكم:الزمن والزمان العصر،والجمع أزمن وأزمان وأزمنة (ابن منظور، د.ت، صفحة 1867).

أما ثاني دال ظاهر في العنوان هو لفظة الغربان فمن جانب اللغة فهو الطائر الأسود، والجمع أغربة، وأغرب، وغربان (ابن منظور، د.ت، صفحة 3229) وغرب وقد كان العرب يتشاءمون منه قديما نظرا لسوداوية لونه ولصوت نعيقه ولطعامه الذي يقوم على أكل الجيفة ولحوم الحيوانات الميتة.

لقد رسم عنوان "زمن الغربان" صورة للعلاقة بين لغة العنونة ولغة النص، حيث يمكن إدراك القيم التعبيرية والتشكيلية لفلسفة النص فلم يقف التأويل عند الدلالة المعجمية فحسب بل كان للعنوان دلالات سيميائية وضعت بصمتها على صفحات الرواية في مواقفها المتعددة والمختلفة، فزمن الغربان هو عنوان مختصر ومكثف وموحي إلى شخصيات طغت الممارسات السلبية على أسماءها وفقدت صفاتها الإنسانية إذ لم يجد الكاتب إلا حيوان الغراب ليعبر عن شخصياته في الرواية لما يحمله من دلالات معجمية وسيميائية، أما جمعه غربان فهو إشارة إلى تعدد القصص وتعدد الشخصيات معها فالشخصيات هي الغربان التي مثلت تلك الممارسات السلبية في متن الرواية، فقد كان لكل غراب قصة وما لجامع بينها إلا سوداوية العمل وبشاعة الموقف.

أعتمد جيلالي خلاص على عنوان زمن الغربان كعنوان لروايته والذي يقصد به ذلك الزمن الذي لا يوجد فيه أي شيء منطقي غير الظلم والتعسف الذي لقيه سكان بركسة من السلطة، وحتى الأشخاص المتمردين على وضعهم الاجتماعي أصبحوا إنتهازيين ويبحثون عن مصالحهم الخاصة وليست المصلحة العامة.

2.2.4. على مستوى العنوان الثانوي "حركة الخبزة":

النظرة اللغوية لعبارة "حركة الخبزة" تكشف للوهلة الأولى عن جمعها بين عنصرين معجميين:

العنصر الأول هو"حركة" الذي وقع اسم نكرة جاء على شكل مبتدأ في معناه العام يعني عمل جماعي يهدف إلى إحداث تغيير في التفكير أو الآراء أو في التنظيم الجماعي،ويعرف أيضا بأنه مجموعة من الجهود المنتظمة التي يتم بدلها من قبل مجموعة من الناس المؤثرين بهدف تغيير جانب ما أو أكثر من المجتمع وتختلف هذه الحركات عن السلوك الجمعي في كون أنها هادفة ومنظمة في حين أن ذلك السلوك يكون إرتجاليا وغير محدد الأهداف (عرفات، 2017، صفحة 15) ، وتوصف أهدافها بأنها قد تكون أهداف واسعة أو محدودة وقد تكون ثورية أو إصلاحية.

أما العنصر المعجمي "الخبزة" فقد ورد في العبارة إسما معرفا جاء على شكل مضاف إليه "الخبزة" إسم منسوب إلى كلمة الخبز والذي يعني في معناه العام عجين يوضع في الملة حتى ينضج (ابن منظور، د.ت، صفحة 1092) ، وبجمع العنصران المعجميان مع بعضهما البعض نحصل على عبارة "حركة الخبزة والتي تكررت في ثنايا الرواية عدة مرات.

إن المتصفح جيدا للرواية سيجد أن حركة الخبزة هي جمعية سياسية يطالب قادتها بتغيير النظام الحاكم بطرق سلمية (خلاص، 2018، صفحة 101) أسسها مجموعة من المثقفين أبرزهم الطيب عامر بعد موقعة الكبش،حين تظاهر الآلاف من المواطنين في برج الكبش وهتفوا بعبارة الخبزة كون أن سياسة عبد السلام بلكروش قد جعلت الشعب في حالة من الجوع والتشرد بسبب منع استيراد المواد الغذائية، كان عمل الحركة في البداية عملا سلميا يقوم على القيام بمظاهرات سلمية فقط.

3.4. على مستوى الشخصيات:

الشخصية هي محور الرواية لأنها جزء من الكون الزماني والمكاني المتمثل في النص (سليمان الإبراهيم، 2011، صفحة 206)، الذي يجمع بين ما هو خيالي وما هو واقعي باعتبار أنها كائنات من ورق مستوحاة من خيال الكاتب يهدف من خلالها إلى التعبير عن واقع المجتمعات.

وإذا تطرقنا إلى أنماط الشخصيات المتواجدة في رواية زمن الغربان سنجدها عبارة عن تجسيد لواقع عايشه المجتمع الجزائري في ظل الاستبداد والظلم الذي تعرض له من طرف نظام الحكم الجائر بطريقة متخيلة ،حيث قدم الكاتب مواصفات الشخصيات الروائية الخلقية والخلقية بأسلوب خيالي يقوم على توظيف الرموز الخيالية ورتاقة الألفاظ وجمال التصوير سواء على المستوى الفيزيولوجي أو النفسي أو الاجتماعي لكل شخصية من شخصيات الرواية، وهذا ما يظهر من خلال إعطاءه لمواصفات دقيقة لشخصية الطيب عامر وكأنه شخصية حقيقية وواقعية ماثلة ومشخصة أمامه"شكل وجهه دائري وشعره يميل للون القسطلي، كان مرح النفس، نكات ضحوك رغم حزنه الدفين الذي رافقه منذ نعومة أظافره" (خلاص، 2018، صفحة 22)، ونفس الطريقة اعتمد عليها في وصفه لشخصية سليم دي فوسطو"بشرته كانت تميل إلى لون الحليب المخفوق بالقهوة (خلاص، 2018، صفحة 42)، لون شعره كان يميل إلى اللون القسطلي شكل وجهه كان دائري (خلاص، 2018)، كان يحمل الجنسية البركسية والجنسية الايطالية، بالرغم من أنه درس بروما وأصبح عالم كبير إلا أنه قد عرف بتواضعه الشديد وبحبه لعائلته.

أما عن القائد أشبوبي فبدلا من قول الكاتب عنه بأنه كان شخصية مكافحة ومثابرة ووطنية فانه فضل تقديم مقتطفات لأهم الصعوبات والمتاعب التي عاشها في حياته وواجهها في سبيل وصوله إلى ما هو عليه الآن، فبعد أن كان شابا فقيرا لا يملك قوت يومه استطاع تغيير حياته للأحسن عن طريق عمله بالتجارة حيث أصبح من أغنى التجار

بمدينة تنكرا وحققت تجارته نجاحا باهرا، وبعدها تحول إلى أبرز قادة حركة الخبزة، كان هدفه الإطاحة بعبد السلام بلكروش ونظامه الفاسد فوظف خليلته سعيدة للتجسس على قوات عبد السلام بلكروش،بعد ذلك قام بجمع رفقاء دربه الأوفياء في مكتب متجره الرئيسي فبالرغم من شطارة سعيدة المؤكدة (خلاص، 2018، صفحة 293)، إلا أن ذلك لم يكن كافي بالنسبة له وقام بزرع رجال أكفاء حادين النظر في مراكز السلطة الحساسة وبالمقابل كان قد جعل منهم شركاء له في تجارته، قام أيضا بوضع سليم دي فوسطو وصدقه مولود تحت حمايته.

يعد بلكروش رمزا اجتماعيا متخيلا أراد الكاتب من خلاله تقديم صورة خيالية للقارئ ألوانها الكلمات حول مواصفات عبد السلام الخارجية، حيث وصفه بأنه صاحب البطن الكبيرة لأنه قام بنهب كل أموال دولة بركسة وجعلهم في حالة من الجوع والتشرد تولى الحكم في بركسة لعهدتين متتاليتين وعندما رغب بالترشح لعهدة ثالثة قام بتغيير الدستور لقمع الشعب ,حتى أنه في سبيل جشعه ورغبته في الحصول على المال والسلطة قام بقتل عمه الذي تولى تربيته عندما كان صغيرا عن طريق إطلاق رصاصتين من عيار مسدسه (خلاص، 2018، صفحة 149)، وهو بذلك يكون شخصية ظالمة وجشعة ومستبدة.

يعد مولود صديق سليم دي فوسطو المقرب خاض معه كل المصاعب منذ وصوله الى بركسة من خلال العرض الدقيق الذي قدمه الكاتب لشخصيته نجد بأنه جميل الخلق والخلق "كانت عيناه زرقاوتان ذو بشرة بيضاء شعره أشقر لديه قامة في كينيغية تتجاوز المتر والثمانين" (خلاص، 2018، صفحة 41)، كان رجل رزين خدوم وقوي الشخصية كان يعمل في شرطة بلارمو عاصمة صقلية كمترجم في صفوف الشبان البراكسة الذين كانوا لازالوا يعبرون البحر الأبيض المتوسط "الحراقة" كما يسميها البراكسة.

اعتمد جيلالي خلاص في وصفه لزوجة الطيب عامر على الانزياحات الدلالية والمجازات المستوحاة من خياله الواسع ويظهر ذلك من خلال قوله "تستدير نحو اتجاه الطيب عامر هالة رائعة من النور، عيناها تلمعان لمعانا ساحرا وخذاها يتوردان كالتفاح الأحمر في بداية نضجه كان الظل المحترق بأشعة الشمس الهادئة ترسم على شعرها الطويل المسترسل تموجات تبرز بشكل مغر تدفق خصلاته السائلة كزيت الزيتون على كتفين متناسقي الأطراف حول العنق بدا رقيقا لطيفا في عيني الطيب عامر المسحورتين بهذه الفتاة الجميلة العربية التي يراها لأول مرة رغم قدومه إلى قرية المالحة" (خلاص، 2018، الصفحات 70 - 71).

4.4. على مستوى المكان:

يعتبر المكان هو الحيز الذي تدور فيه الأحداث وتتفاعل فيه الشخصيات,تشكله الكتابة عن طريق اللغة التي تساعد على تقديم توصيف للمكان الذي يشكل فيه الراوي شخصياته (سليمان الإبراهيم، 2011، صفحة 27).

لجأ الروائي الى توظيف بعض الأماكن المتخيلة والغير مستقرة لدوافع اجتماعية الغرض منها تكسيب الرواية زئبقية جمالية، ومن بين هذه الأماكن نجد بركسة البلد الذي تدور فيه أحداث الرواية، حيث استعمله الكاتب كرمز متخيل لبلاد الجزائر التي تعتمد في اقتصادها على تصدير البترول فقط وماستؤول إليه في المستقبل من أوضاع كارثية جراء ذلك.

من بين الأماكن المتخيلة أيضا نجد مدينة تنكرا أو"مدينة سوق البرغوت"كما أطلق عليها الكاتب، حيث اعتمد في وصفها على العديد من التشبيهات والتعابير المجازية "فمنها قد تشتري بكتيريا البصاق لعلاج آلام الحلق ,كما تبيع جراثيم التهاب الكبد للقضاء على منافسك في التجارة أو خصمك في عشق امرأة فلقاء"كما أنها تعد مدينة ضخمة مترهلة

وان كانت ومازالت تفتح أبوابها بكرم كما المرأة المتيمة تفتح فخذيها لعشيقها" (خلاص، 2018، صفحة 223).

إلى جانب ذلك سافر الكاتب بمخيلته بعيدا وأبدع في وصفه للمجزرة التي وقعت داخل برج الكبش الذي هو عبارة عن مكان غير موجود أصلا في الواقع،هدف من خلاله إلى تنبؤ بالكفاح المسلح الذي كان سيتصاعد في الجزائر لو أن الحراك السلمي لم يجد أي نتيجة "فداخل البرج حصدت عشرات الأجساد تطايرت أشلاؤها فوق الأسوار المهدمة وسفحت دماؤها على الحجارة وكتل الخرسانة المتدحرجة هنا وهناك و"فوق البرج ,تهاوى تمثال "الكبش"الأسطوري، سقط من على رأسه إلى الأمام، انكسر أنفه الضخم على إسفلت ساحة البرج ثم تهشم جذعه فزلزلت حجارته وخرسانته الأرض تحت أقدام آخر الأحياء" (خلاص، 2018، الصفحات 98 - 99).

تربط علاقة وطيدة بين الشخصية والمكان داخل رواية زمن الغربان ،وقد جسد جيلالي خلاص هذا البعد في مشاهد كثيرة منها مشهد الإقامة الجبرية التي فرضت على الطيب عامر وأفراد عائلته بثكنة مرقا حيث"كانت الإقامة الجديدة للطيب عامر وأفراد عائلته في ثكنة مرقا الكبيرة المحصنة، فرغم الظلام الدامس المصحوب بالخوف والتوجس، استطاع الطيب تمييز جدران تلك الثكنة المرعبة"، "فقد كان منزلا أرضيا محاطا بأسوار عالية على أحد أطراف جدران الثكنة الكبيرة" (خلاص، 2018، صفحة 115) ، ومشهد وصف واد المالحة الذي تذكر فيه الطيب عامر أجمل ذكرياته هناك "تذكر الطيب عامر نهر "لالوار"الفرنسي، صحيح أن المالحة ليست سوى واد صغيرة الآن رغم حملها ,بيد أن مياهها المولحة المتلاطمة بين"كافي"الفج شبه إلى حد كبير مياه "لالوار"في الشتاء الماطرة "حيث لاحظ أن عرض الواد قد امتد إلى حوالي ثلاثين متر، شيء رائع وإن كان عرض "الحمول" البالغ ثلاثمائة متر أو أكثر يبدو خرافيا"، ومع ذلك فالأجداد يؤكدون أن واد المالحة كان يبلغ تلك المسافة من العرض أيام فيضانه في الأشتاء الغابرة"

(خلاص، 2018، الصفحات 79 - 80) ومشهد هروب سليم دي فوسطو رفقة صديقه مولود إلى غابات زيرا التي تحتوي كما وصفها الكاتب على "الجبال الشاهقة، المياه الخرارة، الغابات الكثيفة، وفوق ذلك كله العصافيرالجميلة المزقزقة والهواء النقي المنعش، نقاء الطبيعة خير من وسخ البشر" (خلاص، 2018، صفحة 183).

قدم الكاتب وصفا جماليا لكل مكان وشخصية موجودة داخل الرواية، وهذا ما يجعل المتلقي يخلق صورة لتلك الأوصاف في ذهنه وتجعله يحس وكأنه يعرف تلك الشخصيات والأماكن التي تشبه إلى حد بعيد الشخصيات والأماكن الموجودة داخل مجتمعه.

5.4. على مستوى الزمان:

يرى جيرار جينيت أن"زمن الحكاية هو الزمن الزائف الوهمي الذي يقوم مقام الزمن الحقيقي، فالمستوى الأول للحكاية يخضع لنظام توالي الأحداث،كما وقعت بالفعل أما في مستوى الخطاب فإن ترتيب الأحداث يتم التحكم فيه من قبل السارد" (الكردي، 2005، صفحة 13).

اعتمدت رواية زمن الغربان في سير أحداثها على التنقل ببين الفترات الزمنية عن طريق وقف السرد والدخول في زمن الإستباقات والاسترجاعات، وهذا ما سنحاول إظهاره من خلال دراسة البنية الزمنية لهذه الرواية الاستشرافية التي تتنبأ بالمستقبل من خلال اعتماد الكاتب على تواريخ وهمية متخيلة منها سنة 2050م وسنة 2069م وسنة 2070م وسنة 2072م.

الاسترجاع: السرد في حقيقته استذكار لحدث مر سابقا، تستجمع أزمنته لينتظم وينطلق في الفعل المنتج له (الإبراهيم، 2011، صفحة 227).

حفلت الرواية بتقنية الإسترجاع أو ما يسمى الفلاش باك، ويظهر ذلك من خلال عودة الكاتب بالزمن إلى الوراء بحوالي سنتين وبالضبط إلى سنة 2070م عندما عاد الطيب عامر من روما إلى قرية بركسة ونتيجة لسقوط الأمطار فإن معظم محاصيله

الزراعية قد أتلفت مع الفيضانات وجلوسه في غرفته وتذكره للمقالات التي كان ينشرها عام 2050م في مجلة الكلمة الحرة" فجأة برق في ذهنه موضوع أحد المقالات الكثيرة التي دأب على نشرها في جريدة الكلمة الحرة منذ العام 2050م (خلاص، 2018، صفحة 55) وقول عبد السلام بلكروش عند تذكره لوالدته "تذكرت تقسير المرحومة أمي لنوعي الكسكسي وأنا أفكر في تسيير شؤون بركسة".

ويظهر الاسترجاع أيضا من خلال تذكر الطيب عامر لزوجته ألأولى المتوفاة"هاهو الطيب عامر يتذكر زوجته الأولى المتوفاة هي وجنينها على فراش الولادة كانت أتعس ذكرى في حياته" (خلاص، 2018، صفحة 69).

5. الاستباق:

يعد السرد الإستشرافي الشكل الثاني لحضور مستوى النظام الزمني ويعني التوقع المستقبلي وهو الاستباق أو التطلع إلى الأمامأو الإخبار القبلي،مهمته كشف الأحداث وتوجيه الرواية نحو البؤر التي يعرضها الكاتب وتجعل القارئ في حيرة من أمره لأنه لن يستطيع فهم الأحداث إلا بعد فراغه من قراءة الرواية كاملة (الإبراهيم، 2011، صفحة 230).

ومن أمثلة الاستباق في رواية زمن الغربان حديث جيلالي خلاص عن حدث لم يحن زمن وقوعه، وهو حدث قدوم سليم دي فوسطو إلى بركسة عام 2072م ثم انتقاله إلى رواية الأحداث التي وقعت في نهاية ربيع 2070م مع الطيب عامر عندما قامت قوات عبد السلام بلكروش بالقبض على الطيب عامر وعائلته وأخذهم إلى ثكنة مرقا العسكرية المحصنة (خلاص، 2018، صفحة 115).

ومن أمثلة الاستباق أيضا نجد حديث الكاتب عن الأحداث التي وقعت في منتصف ديسمبر العام 2070"أدرك الرئيس عبد السلام بلكروش ومساعدوه أن الوضع خطير فقد تبين لهم أن الجيش لم يكن يملك تلك القوة الضاربة القادرة على فقء عيون المتمردين

وحر قواتهم التي مافتئت تكسب المعركة تلو المعركة (خلاص، 2018، صفحة 157) ،ثم عاد بالزمن إلى الوراء وتذكر وقائع مظاهرات برج الكبش التي وقعت سنة 2062" كنت قد قلت لكم في عز مظاهرات 2062، إن أحد أسلافي الغابرين كان من الذين نكحوا الصفر الصفر فور اختراعه من قبل العلماء العرب، بعد معاناة علماء البشرية آلاف السنين بحثا عنه (خلاص، 2018، صفحة 158).

أبدع الروائي جيلالي خلاص في التلاعب بالزمن كما يشاء وذلك من خلال استخدامه لتقنيتي الاسترجاع والاستباق بغية تسريع السرد وتجاوزه وسد الثغرات الزمنية وتوضيح الرواية، من خلال تسليط الضوء على ماضي ومستقبل الأحداث والشخصيات الفاعلة فيه.

6. خاتمة:

نخلص في الأخير إلى جملة من النتائج:

- الرواية هي فن نثري أدبي طويل، يعتمد فيه الكاتب على سرد سلسلة من الأحداث بأسلوب خيالي.
- سايرت الرواية مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري بداية بالاستعمار الفرنسي والثورة التحريرية الكبرى ثم استقلال الجزائر وتبنيها للنظام الاشتراكي في عقد السعينات، بعد ذلك نجد أن الرواية الجزائرية قد دخلت في مرحلة جديدة فيها ثورة ونضال وانهزام، حيث انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه بما بأدب الأزمة.
- يعرف من منظور تحولات الخطاب الروائي الجزائري التجديدي تأتي محاولات الروائي جيلالي خلاص المتميزة، حيث يمثل جيل كتاب الثمانينات التجديدي في الخطاب الروائي المكتوب باللغة العربية.

- تعد رواية زمن الغربان إضافة نوعية وهامة للرواية الجزائرية،حيث توجه فيها جيلالي خلاص إلى كشف الواقع الجزائري بأسلوب خيالي غير مباشر.

- استطاع الروائي جيلالي خلاص توظيف التخييل كعنصر فعال في بناء هذا النص السردي،لما له من دور كبير في إثارة تشويق القارئ واستثارة حس التأويل داخل ذهنه ويتجلى هذا التوظيف في: توظيف الشخصية المتخيلة والمكان المتخيل والزمان المتخيل والرمز المتخيل وقد أستعملها الكاتب كأداة جمالية الغرض منها إيصال ما يريد إيصاله حول الواقع المعاش مشيرا إلى فساد أنظمة الحكم والسلطة.

- اعتمد جيلالي خلاص على مجموعة من الطرائق والتقنيات في بناء ورشم ملامح الشخصيات وصفاتها وسلوكاتها فتراوحت أنماط الشخصيات بين حاكم ومحكوم وغني وفقير، هدف الكاتب من خلالها إلى تقديم صورة عن الفرد الجزائري سواء في نمط تفكيره وأسلوب تعامله أو في كيفية تفاعله مع الواقع المعيشي بكل ما يحمله من تناقضات.

- تدورأحداث الرواية في فضاء متخيل سماه المؤلف"بركسة" والذي حاول الكاتب من خلاله استشراف الوضع الكارثي الذي ستؤول إليه الجزائر في المستقبل.

- اعتمد الروائي جيلالي خلاص في رواية زمن الغربان على اللعب بخيوط الزمن وتكسير خطيته من خلال استعمال تقنية الفلاش باك التي تقوم على توظيف أسلوب الاستذكار والاسترجاع ليستشرف أفاق المستقبل مدعمة بأحلام ورؤى تنبئ بسقوط وانهيار الاقتصاد الجزائري بسبب اعتماد الدولة على تصدير البترول فقط.

7. قائمة المصادر ولمراجع:

عرفات، إسراء جمال رشاد عرفات. (2017). الحركة الإحتجاجية ودورها في مخرجات التغيير السياسي العربي"دراسة مقارنة بين مصروتونس. [رسالة ماجستير]. جامعة النجاح الوطنية. فلسطين.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل. (د. ت). *لسان العرب*. دارالمعارف. القاهرة.

ألن، روجر. (1997). *الرواية العربية*. ترجمة: حصة إبراهيم منيف. المجلس الأعلى للثقافة.القاهرة.

أبو المكارم، علي. (2007). *الجملة الإسمية*. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة.

حسين، نجاة. (أفريل 2021). التجريب في النص الروائي الجزائري. *مجلة أقلام الهند (purity-**eva@outlook. fr**)* (2). جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية الآداب والفنون،قسم اللغة العربية، الشلف.

خلاص، جيلالي. (2018). *زمن الغربان*. (ط1). دار القصبة للنشر. الجزائر.

رحال، عبد الواحد. (2014 - 2015). *التجريب فيالنص الروائي الجزائري*. [دكتوراه]. كلية الآداب واللغات،قسم اللغة والأدب العربي.

سليمان الإبراهيم، ميساء. (2011). *البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة*. الهيئة السورية العامة للكتاب. دمشق.

طانيوس، ريتا. (2010). *إنه اللون*. دار الخيال. لبنان.

عبيد، كلود. (د. ت). *الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها)*. تحقيق: محمد محمود. المؤسسة الجامعية للدراسات.

فاسي، مصطفى. (2000). *دراسات في الرواية الجزائرية*. دار القصبة للنشر. الجزائر.

الكردي، عبد الرحيم. (2005). *البنية السردية للقصة القصيرة*. (ط3). مكتبة الآداب. القاهرة.

المداييني، مصطفى. (1984). القصة الجزائرية القصيرة في عهد الإستقلال. *مجلة الحياة الثقافية*،تونس، 32.

مرتاض، عبد الملك. (1998). *في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد*. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

مفقودة، صالح. (2009). *المرأة في الرواية الجزائرية*. (ط2). منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري.

مؤلف مجهول. (د. ت). تاريخ الاسترداد 22 جويلية, 2023، من www. cosolah. com